

الفكر الوجودي في العراق القديم/ ملحمة جلجامش نموذجاً

أ.م.د حسين سيد نور جلال الاعرجي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية
Hussiennoor82@gmail.com

الملخص:

تعالج هذه الدراسة مفهوم الوجودية اولا ومن ثم في الفكر العراقي القديم فضلا عن اساليب ذلك المفهوم ودوافعه، بعدّها فكرة تعبر عن سعي البشرية في معالجة واقعية للوجود البشري. وكانت ملحمة جلجامش عينة الفكر الذي تمت دراسته في بحثنا. في الدراسة تعقبنا بداية الفكر الوجودي في التاريخ القديم، سيما من خلال الاساطير التي عدت محاولات سعى الانسان فيها الوصول الى اجابات تعلل وجوده فضلا عن الغاية، وبالتالي تعبر عن طريقة التفكير التي سلكها لفهم ذاته. لذا فان ملحمة جلجامش تعالج فكرة مركزية تتمثل في الوجود البشري، فضلا عما سيؤول اليه مصير البشرية، فالوجودية بحسب المفهوم العام، اتجاه فلسفي يتخذ من الإنسان موضوعاً له، ليس من خلال التفكير فقط، وإنما من خلال الفعل والشعور أي أنها ترتبط بالإنسان كفرد حي، فضلا عن ابراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقاً على الماهية فهو ينظر الى الانسان على انه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من ان يصنع نفسه بنفسه، ويملئ وجوده على النحو الذي يلائمه، بعيداً عن الوجود الميتافيزيقي.

الكلمات المفتاحية: الفكر ، الوجودية ، ملحمة كلكامش ، العراق القديم.



Existential Thought in Ancient Iraq

Gilgamesh Epic as a Model

Summary

This study deals with the concept of existentialism first and then in the ancient Iraqi thought as well as the methods and reality of that concept. Then as it considered as an idea that reflects humanity's quest for a realistic treatment of human existence. The Epic of Gilgamesh was a sample of thought that was studied in our research. In this study, we followed the beginning of existential thought in ancient history, especially through the myths in which there were countless attempts by the human being to reach answers that explain his existence as well as the end, and thus express the way of thinking that he took to understand himself. Therefore, the Epic of Gilgamesh deals with a central idea represented in human existence, as well as what will happen to the fate of humanity. Existentialism according to the general concept, is a philosophical trend that takes the human being as a concept of it, not only through thinking, but rather through action and feeling. It is connected to the human being as a living individual as well as highlighting the existence and its characteristics, and making it prior to its essence. It looks at the human being as the existence of no essence and believes in the absolute freedom that enables the individual to create himself or himself and fill his presence in a way that suits him far from metaphysical existence

Key words: existential thought, the epic of Gilgamesh, ancient Iraq.

قدمت الحضارة البشرية نتاجا متلاحقا عبّر عن اصرار الانسان وقدرته على العيش بطرق مبتكرة ومختلفة قادرة على تمكينه من التكيف مع البيئة التي عاشها، فاصطبغت كل حضارة بطابع مازها عن غيرها. اذ اجتمعت جملة من العوامل افرزت الكثير من الافكار والمعتقدات والبنى الفكرية التي تمكننا من تتبع الفكر الوجودي، الذي بقي رديحا طويلا من الزمن من غير دراسة.

للفكر الوجودي حضور في النتاج الادبي في العراق القديم ، اذ جاء ضمن اهم نتاج ،ادبي وفلسفي، ناقش بوضوح سعي الانسان لحل مشكلة فهم الوجود، تمثل بملحمة جلجامش، ذلك الذي رفض ما اعتاد عليه البشر عندما ارتضوا بالموت نتيجة حتمية لنهاية الانسان. اذ اتبع منهاجا رفض فيه الانساق الفكرية التقليدية وبدا ببحث واقع جديد يتم من خلاله طرح رؤى جديدة عليها تمكن الانسان من البقاء. لذا فان حدود البحث تمثلت في النتاج الادبي العراقي القديم وبالتحديد ملحمة جلجامش.

تتمثل مشكلة البحث في الوقوف على الاساليب الفكرية التي اتبعاها الانسان في فهم وجوده وكيفية معالجتها في النتاج الادبي العراقي القديم، فضلا عن اساليب ذلك المفهوم ودوافعه، بعدّها فكرة تعبر عن سعي البشرية في معالجة واقعية للوجود البشري. وكانت ملحمة جلجامش عينة الفكر الذي تمت دراسته في بحثنا.

تقوم فرضية البحث على ان ملحمة جلجامش احتوت وعالجت فكرة مركزية تمثلت في الوجود البشري، فضلا عما سيؤول اليه مصير البشرية، فالوجودية بحسب المفهوم العام، اتجاء فلسفي اتخذ من الإنسان موضوعا له، ليس من خلال التفكير فقط، وإنما من خلال الفعل والشعور، أي أنها ترتبط بالإنسان كفرد حي، فضلا عن ابراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقا على الماهية، فهو ينظر الى الانسان على انه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من ان يصنع نفسه بنفسه، ويملئ وجوده على النحو الذي يلائمه، بعيدا عن الوجود الميتافيزيقي.

تكمن اهمية الدراسة في اثبات السبق الفكري في معالجة اخطر واعمق مشكلة واجهها ويواجهها الانسان المتمثلة بمصيره، وكيف اخرجها بمنظور وجودي في وقت مبكر من تاريخ البشرية. سيما وانها احتوت مشكلة محورية تتعلق بحياة البشر الفانية، بحيث قصت ملحمة جلجامش الرحلة الفكرية التي سلكها الانسان من اجل الوصول الى الحقيقة المرتبطة بالواقع لا بالأمنيات او الماورائيات. بل قدمت مثالا واضحا في ارتباط الحياة بالمادة بشكل او ثقل من اي شيء اخر.

قسم البحث الى محاور عديدة، كان اولها مفهوم الوجودية، فضلا عن الثاني الذي خصص للفكر الوجودي في العراق القديم وتناولنا ملحمة جلجامش نموذجا لذلك الفكر، وخصص المحور الاخر لسمات الفكر الوجودي، اما المحور الاخير فقد درس اسباب ظهور ذلك الفكر في العراق القديم بدءاً.

تميز الفكر الوجودي بسمات عامة ولكن كان أكثرها وضوحاً أنه بدأ من الإنسان لا من الطبيعة. فهو مختص بالذات أكثر منه بالموضوع. ارتبطت الافكار الوجودية بواقع الانسان البيئي، لهذا فقد يقال أن التساؤل الأساسي حول الذات البشرية قد كافح بالفعل لكي يعبر عن نفسه في الحقبة التي كان فيها الفكر البشري أسطوري الطابع وهذا واضح بصفة خاصة في الأساطير التي تحكي أصل الإنسان. هناك الكثير من الدراسات حول ملحمة جلجامش، واغلبها خصص لموضوع البحث عن الخلود، فضلا عن الدراسات الادبية. ولكننا نبحث في هذه الدراسة اسلوب التفكير الواقعي، المرتبط بصفات الانسان وطبيعته، اذ اصبح الركيزة الاساسية للأفكار التي افرزت المدرسة الوجودية حتى اصبحت تيارا فكريا له سماته ومميزاته.

استعان الباحث بمجموعة من الدراسات الفلسفية والادبية السابقة، فضلا عن الدراسات التاريخية، بسبب طبيعة موضوع البحث. كان من اهم تلك الدراسات كتاب الوجودية مذهب انساني لجان بول سارتر، ترجمة عبد المنعم الحفني، الذي يؤكد فيه على ان الوجودية نزعة طبيعية لدى الانسان، فضلا عن كتاب الوجودية لجون ماكوري، ترجمة امام عبد الفتاح ذلك الكتاب الذي تناول الوجودية كتيار فلسفي نهض في اوربا بعد عصر النهضة، وهنالك كتاب اخر كرسه محمد سعيد العشماوي لدراسة

تاريخ الوجودية، اذ انكر فيه (ظلما) الفكر الوجودي في بلاد الرافدين من خلال تناوله لحضارات كثيرة وغيب عمدا الحضارة العراقية القديمة. واعتمدنا نسخة الملحة التي ترجمها نائل حنون اذ تعد بحق افضل الترجمات واحديثها من النص المسماري الى النص العربي، وجاءت لتعبر عن المفاهيم التي عبر عنها صاحب الارض بشكل حقيقي.

قسم البحث الى محاور عديدة، كان اولها مفهوم الوجودية، فضلا عن الثاني الذي خصص للفكر الوجودي في العراق القديم وتناولنا ملحمة جلجامش نموذجا لذلك الفكر، وخصص المحور الاخر لسمات الفكر الوجودي، اما المحور الاخير فقد درس اسباب ظهور ذلك الفكر في العراق القديم بدءاً.

نظرا لطبيعة مادة البحث وسبل معالجتها استخدمنا التفكيكية منهاجا يحاول ان يفكك النصوص والمفاهيم للوصول الى البنية الاساسية التي بلورت الافكار التي ظهرت على شكل نتاج ادبي كملحمة جلجامش.

توصلت الدراسة الى ان الوجودية طريقة التفكير الاولى التي سلكها الانسان لفهم ذاته، سيما ان الوجودية اضحت فلسفة تنص على معالجة مدلولات الحياة والموت و المعاناة والألم، مبينا في الوقت ذاته ان الفكر الوجودي في العراق القديم حاجة الانسان الملحة الى الواقع العملي، بعيدا عن الفهم المثالي للوجود. وتجلت اصالة الفكر الوجودي في العراق القديم من خلال ملحمة جلجامش التي نهجت البحث عن معنى الوجود الحقيقي للبشر.

مفهوم الوجودية Existence

لم يظهر الفكر الوجودي بشكل مفاجئ، بل مثل مرحلة مهمة من مراحل الفكر البشري، مهد لظهوره عوامل ومقدمات عديدة^١.

اختلف تعريف مفهوم الوجود بين اللغات الحية الأوربية إلى العربية، ففي اللغات الأوربية و أغلبيتها مشتق من اللغة اللاتينية، يفيد معنى الخروج من الشيء، فأصل اللفظ في اللغة اللاتينية مكوّن من شطرين هما ex/stere المقطع الأول ex يعني الخروج بينما الثاني stere البقاء في العالم، وهكذا انتقل اللفظ إلى اللغات الأوربية بما يحتويه من شحنة تعبيرية و ما يرمز إليه من فكر،

فالوجود في اللغة الفرنسية existence اما في الانجليزية فـ: existence اما في اللغة الألمانية فـ: existenz.^٢

اما الوجودية بالمعنى الاصطلاحي الأوسع فإنها كل جهد فكري همّه الوصول الى فهم معنى الوجود^٣، واصبح فيما بعد تيارا فكريا مثل فلسفة تتمحور حول تحليل الوجود، والطريقة التي يجد بها البشر أنفسهم موجودين في العالم. الفكرة هي أن البشر موجودون أولاً ثم يقضي كل فرد حياته في تغيير جوهره أو طبيعته. وبعبارة أبسط، ان الوجودية فكر يهتم بإيجاد الذات ومعنى الحياة من خلال الإرادة الحرة ، والاختيار ، والمسؤولية الشخصية.

تقوم الوجودية على البحث في مسألة الوجود الإنساني وعلاقته بالوجود الخارجي (الكون والمجتمع) وموقفه من هذا الوجود، وهو قائم على:

١- التمرد: الذي يصبو الإنسان من خلاله إلى تحقيق الذات بعد مواجهة مخاطر الحياة وغيرها من الأمور التي تعيق وجود الإنسان.

٢- العبث: الذي لا يمكننا الحديث عنه إلا إذا أشرنا إلى مشكلة الموت التي أزعجت ادباء العراق القديم وجعلتهم يتفطنون إلى لا جدوى الحياة.

فالعصب الرئيس للوجودية أن يحيى الإنسان في الوجود، وليس مجرد التفكير فيه، اي أن يعيشه في تجاربه الحية، وما يعانيه في صراعه مع الوجود في العالم، بخلاف مجرد النظر إلى الحياة من خارجها، النظر إلى الوجود موضوعه. وهو ما يجعل الذات المفردة مركز البحث، والأصل الذي تصدر عنه كل الأفكار والأفعال. بيد أن وجود الموجود لا يتحقق دفعة واحدة، فهو ليس ذلك الشيء الذي نكتشفه مرة واحدة، بل هو الشيء الذي نخلفه بواسطة الحرية. فالموجود هو وجود دائم غير مكتمل، هو ما يصير، هو شروع واستقبال^٤ لذا فان الوجودية تحاول التعبير عن المدى الكامل من الوجود الذي يعرف مباشرة وعلى نحو عيني في فعل التواجد نفسه^٥. ان وجهة نظر الوجوديين قائمة على ان نقطة بداية الفرد تتحدد بما يُسمى "الموقف الوجودي"، أو شعور بفقدان التوجه والارتباك أو الفرع في وجه عالم عبثي بلا معنى^٦.

الوجودية في الفكر العراقي القديم

يمكن أن نتعقب جذور الوجودية من خلال الأساطير في الحضارات القديمة سيما حضارة العراق القديم، اذ ظل موضوع الأساطير وتفسيرها مثار اهتمام عدد كبير من الباحثين منهم شلنج

JSchelling وشتراوس Strauss حتى كاسيرر J Cassirer ويونج Jung وبلتمان Bultmann والياد Eliade وكثيرون غيرهم، وكلهم بذلوا جهودا مكثفة في علم تفسير الأساطير^٧، وفق رؤى مختلفة.

بذلت جهود حثيثة لتفسير الاساطير على انها محاولات الانسان الاولى لفهم حقيقة الذات. فالأسطورة ظاهرة معقدة وتقبل تفسيرات متعددة^٨، صارع فيها الإنسان نفسه في سبيل توضيح الغموض الذي يكتنف وجوده، محاولا ايجاد الإجابات على ان تناقضات الوجودية الظاهرة في هذا الوجود كلها محاولات حقبة ما قبل الفلسفة وما قبل الفينومينولوجيا Phenomenology . للتعبير في صور ميثولوجية أسطورية Mythology عن وعي الإنسان بالوجود الذي لازمه منذ بداية وجوده^٩.

دأب الإنسان منذ فجر التاريخ على التمرد والثورة من أجل امتلاك حريته كاملة ؛ لأن الحرية تمثل الوجود الإنساني ذاته^{١٠} سيما ان الانسان يحمل على كتفيه عبء حريته الخاصة، ووجوده المتميز بالاعتماد على ذاته مجبر على سحب كل مسؤولياته من أية قوة علوية^{١١}.

فالرعب من الكون على سبيل المثال يظهر عند بعض الشعوب لا كلها وفي ظروف تاريخية معينة، فهناك اختلافات وفروق حتى داخل عصر الفكر الأسطوري نفسه^{١٢}، وتلك الظروف وجدت مجتمعة في بلاد الرافدين منذ وقت مبكر.

ان الأساطير التي تحدثت عن العالم الآخر ليست تأملات بدائية حول نهاية العالم، لكنها محاولات للعثور على إطار من الفهم فيه مكان للوجود البشري الفاني. فالحياة الأخرى تعبر عن مدى فهم الإنسان لوجوده بوصفه وجودا يتجه نحو نهاية^{١٣}.

عبّرت الوجودية عن رفض الفكر البشري الانساق التقليدية، وجهاده من اجل التركيز في مشكلات الانسان ومصيره، فضلا عن ما يهدد وجوده ومصيره، اذ ان كلمة وجود تجعل الانسان متصفا بالواقعية التي تعني: ان صميم الحياة البشرية ليست سوى تساؤل عن معنى الوجود^{١٤}. فكلما عدنا في التاريخ البشري وجدنا الدافع الوجودي قويا^{١٥}. وأوضحت جهود الانسان القديم أنه حتى عندما كان في مرحلة تطوره العقلي التي سبقت الفلسفة وسبقت تكوين الحس النقدي، قد انشغل بالفعل بتلك المشكلات التي سوف تشكل الغالبية العظمى من قضايا الفلسفة الوجودية مثل السر الغامض للوجود البشري والتناهي، والإثم، والموت، والأمل، والحرية، والمعنى. اذ ان تلك الحقيقة تنشأ من صميم بنية الوجود البشري ذاته^{١٦}.

افرزت ملحمة جلجامش الكثير من المفردات التي تركز في مفهوم الوجودية^{١٧}، اذ ترشد شمشة انكيدو ان الخبز ضرورة الحياة والجنة قسمة البلاد كما في النص:

"كل الاكل يا انكيديو

فهو سمة الحياة،

واشرب الجعة فهي شيمة البلدان"^{١٨}

ولم تكن تلك المفردات الوحيدة في مقتنيات الفكر الوجودي في ملحمة جلجامش بل كانت هناك وقفة اخرى لصاحبة الحانة، اذ كانت سدوري^{١٩} تدبر الحانة التي وصل اليها جلجامش متسربلا بجلد حيوان ومثقلًا بالحنن، فتسأله سدوري عن سبب ظهوره بهذا الشكل وعلامات الحزن بادية عليه، فيخبرها بموت أنكيديو وكيف أنه استمر يبيكه ستة أيام وسبع ليال وامتنع عن دفنه حتى ظهر الدود على جثته، وعندها غمره الخوف من الموت، إذ تيقن إنه سيلقي المصير نفسه الذي لاقاه أنكيديو، ذلك أن ما حدث لأنكيديو كان أكثر مما يحتمله ، فأمام ناظره تفسخ جسد صديقه وتحول إلى طين^{٢٠}.

تعالج ملحمة جلجامش فكرة مركزية تتمثل في الوجود البشري، فضلا عن ما ستؤول اليه مصير البشرية، فالوجودية بحسب المفهوم العام، اتجاه فلسفي يقوم على ابراز الوجود وخصائصه، وجعله سابقا على الماهية فهو ينظر الى الانسان على انه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من ان يصنع نفسه بنفسه، وبملى وجوده على النحو الذي يلائمه، بعيدا عن الوجود الميتافيزيقي^{٢١}. اي أن مثل هذا اللون من الفكر يبدأ من الإنسان، بوصفه موجودا لا بوصفه ذاتا مفكرة^{٢٢}، لذا يمكن عد تلك الملحمة وعيا أسطوريا على عتبة الفلسفة باسم (دراسة الموت)^{٢٣}. فنجد مفردات اخرى تؤكد اهتمام العراقيين القدماء بالفكر المقتصر على معرفة حقيقة الوجود البشري، ووجوب التعامل مع تلك الحقيقة التي تتحرك وفق نطاق طبيعة الانسان الخاضع لقوى الطبيعة وليس بشي اخر.

لا يمكن الحديث عن بداية الفكر الوجودي بشكل موثق قبل ملحمة جلجامش، فجلجامش يمثل شخصية لم تشعر بحدودها في الحياة وغير متأكد منها، لهذا تحول إلى ملك متعطر ومتهور. اشعر المواطنين في نهاية المطاف أنهم مهددون من زعيمهم، وأنهم يدعون إلى إله السماء أنو لتحريرهم من سيدهم المتعطر. يأمر أنو الإلهة أرورو لإنشاء الرجل الأول، إنكيديو، كمنافس لجلجامش ، في محاولة لاتخاذ صديقا، املا في جلب السلام لروحه.

ومن خلال متابعة تطور انكيديو Enkidu عن كنب، نفهم أيضا تطور جلجامش. فقد بدا انكيديو أولا كحيوان، يشرب من النهر مع القطعان ويحمي الحيوانات من الصيادين. ولكن عندما واجه

هويته الحقيقية كإنسان، بدأ في فهم احتمالات كونه إنساناً. اذ حل المشكلات الوجودية والعملية، من خلال إيجاد فكرة مجردة والعمل على تحقيقها، والعمل على ان يكون المثل الأعلى. وأخيراً، بعد وفاته ادرك حدوده الفعلية من خلال الموت، وبالتالي يحرر روحه ليعيش للأبد في العالم السفلي، اذ يكتشف مفهوم الأبدية كنتيجة لإنجازات المرء خلال حياته^{٢٤}.

اما بالنسبة الى جلجامش فان المتنوع لحياته يجد النمط الذي عاشه عن كثب، ففي بداية حياته عاش كملك، واعتقد أنه لا يمكن أن يموت، وليس امامه ما يخشاه كفرد. ونتيجة لذلك، أصبح قائداً غير ناضج ومتهور، دون أن يكون قادراً على تقدير الحياة على ما هي عليها. ولكن عندما موت إنكيديو اجبر جلجامش على مواجهة مشاكله الوجودية، و قرر السفر مع أورشابي عبر محيط الموت، إلى الجانب الآخر حيث سيجد حكمة الحياة (أبسو ، "العمق"). هادفاً من وراء ذلك معرفة نفسه والعالم من حوله. وهنا تتشكل العلاقة بين المادة والعالم المثالي، الموت والحياة^{٢٥}.

وبين ايدي الباحثين نص قدم حوارا بين جلجامش وسدوري اعطي جوهر الوجودية المتمثلة بمراعاة طبيعة وجود الانسان، وكيف اصبحت فكرة الموت مركزا للقلق الذي يعد مبعثا اصيلا لفكرة الوجودية كما في النص:

" وجهك مدل على مسافر (قطع دربا بعيدا؟

ولماذا اسود وجهك من البرد والحر؟

ولماذا تجوب البرية لابسا جلد أسد؟

يقول جلجامش! لها ، لصاحبة الحانة:

كيف لا تكون وجنتاي غائرتين ووجهي منكمشا،

وفكري مثقلا ، وملامحي منهكة ؟

كيف لا يكمن الأسى في داخلي،

و لا يكون وجهي مدلا على مسافر (قطع) دربا بعيدا؟

كيف لا يسود وجهي من البرد والحر؟

وكيف لا أجوب البرية لابسا جلد أسد؟

فصديقي ، حمار الوحش النافر، حمار الجبال الوحشي ، نمر البرية ،

.....

انكيديو، صديقي الذي أحبه بقوة ، ومعني خاض كل الصعاب ،

غلبه قدر البشر.
سنة ايام وسبع ليال بكيت عليه،
لم أعطه للقبر،
حتى سقطت دودة من أنفه،
فبت أضر من الموت ،
أصبحت أخاف الموت وأجوب البرية،
وقصة صديقي مخيمة علي.
فكيف أستطيع أن أسكت ا، كيف أستطيع أن أهدأ؟
صديقي الذي أحبه أصبح مثل الطين،
وانا، الم انم مثله،
ولا اقوم على مدار الدهر؟^{٢٦}

هذه المرة ادرك جلجامش انه وجب عليه اكتشاف ذاته وعليه مكافحة واجابة الأسئلة الوجودية الأبدية، من أجل إيجاد قوة جديدة لفهم الحياة، تلك المقدمات التي دفعت جلجامش الى الوصول الى التعاسة نظرا لسوداوية المستقبل من المصير، الذي عد محتوما على بني البشر. اما فيما يخص جواب سدوري فيتمثل في النص:

" يا جلجامش، الى اي تهيم؟
ان الحياة التي تبحث عنها لن تجدها.
فحينما خلق الالهة البشر،
حددوا الموت للبشر،
ومسكوا الحياة بأيديهم.
اما انت، يا جلجامش، فليكن كرشك مملوء
ابتهج على الدوام، صباحا ومساءً،
اقم احتفالا في كل يوم،
ارقص والعب صباحا ومساءً،
لتكن ثيابك نظيفة،
ليكن راسك مغسولا، ليكن مستحما(دائما) بالماء،

ارع الصغير الذي يمسك بيدك.

لتسعد القرينة بحضنك.

فهكذا هو سفر البشرية^{٢٧}.

اعتقد جلجامش أنه شبيه بالإلهة، وبالتالي ليس عليه أن يواجه الموت أو الحزن أو الوحدة، لأن تلك أجزاء من مصير الإنسان. لذلك قررت الآلهة خلق أنكيديو Enkidu، كمرآة لتعكس جلجامش وتبين له الصورة الحقيقية لنفسه. لذا فإن كلمات صاحبة الحانة توجه جلجامش إلى صميم الوجودية التي تضع الإنسان في إطار واقعه المرتبط بوجوده المادي وليس المعنوي، رافضة بالوقت نفسه ما تعلمه الإنسان من مفاهيم قد تدفعه إلى البحث عن حلول تمكنه من الحصول على نتائج مغايرة لحقيقة الوجود البشري. ولا سيما أن ما قام به جلجامش يخص ذاته لا الآخرين، وبعبارة أخرى أن الفكرة، التي بحث عنها، تخصه هو وليس عامة البشر، فمثلت نوعاً من أنواع الانطلاق من الانانية. وفي مكان آخر من الملحمة يؤكد اوتنابشة، أن الموت يشمل الجميع، ولا يمكن لأحد أن يراه أو يسمع صوته، فالإنسان مهما فعل في هذه الحياة فسيذهب، ويتحول فجأة إلى فناء. فلا يوجد ما يماثل الموت، ولا يوجد على الأرض ميت يسلم على حي^{٢٨}، إذ أن جلجامش ملك يشرع في السعي من أجل الخلود. ولكنه يتعلم أن هناك وسائل طبيعية، لذلك الخلود^{٢٩}.

لم تترك الأسطورة مسألة الخلود بالطرق المادية، فعلى الرغم من عدم تصديق جلجامش لحكمة الفكر الوجودي وواقعه الذي منحه له سدوري، فإنه استمر في بحثه عن الخلود بالوسائل المادية التي مثلتها نبتة الخلود.

فجلجامش طلب من اوتنابشة حين التقى به أن يخبره سر الخلود، فأجابه اوتنابشة بالأسلوب الوجودي المادي نفسه عندما طلب منه أن يبقى ستة أيام وسبع ليال من دون أن يأخذ النوم، الذي يمثل شكلاً آخر للموت^{٣٠}، فهو يؤكد على ضرورة احترام الإنسان لطبيعته البشرية ذات القدرات المحددة، وأكد أن لا أحد يستطيع الحصول على الحياة الخالدة. كما في النص:

"هلم، لا تتم ستة أيام وسبع ليال.

حالما جلس القرفصاء،

نفشت عليه سنة نوم كالضباب.

يقول اوتنابشة لها، لصاحبته:

انظري هذا الرجل القوي الذي أراد الحياة (الخالدة)

نفشت عليه سنة نوم كالضباب.

صاحبته تقول له، لاوتنايشة القاصي:

المسه فيستيقظ الرجل،

ليرجع بسلام على الطريق الذي جاء عليه،

ليرجع الى بلاده عبر البوابة التي خرج منها"^{٣١}.

وادرك جلجامش انه نام تلك الايام السبعة يشكو لاوتنايشة حيرته وعدم معرفته الى اين عليه ان يذهب، فالموت بانتظاره اينما ذهب:

" ماذا يمكنني ان افعل يا اوتنايشة، والى اين يمكنني ان اذهب؟

لقد استولى لص (على ذهني)، والموت مقيم في بيت سريري،

وحيثما وضعت (قدمي) يكون الموت هناك"^{٣٢}.

رات التفسيرات الوجودية في الأساطير المحاولات الأولى التي تلمس فيها الإنسان الطريق

نحو العثور على الهوية Identity فإن تحدثنا عن الأصول البشرية فذلك إقرار بلون من الفهم الذاتي^{٣٣}.

سمات الفكر الوجودي

تميز الفكر الوجودي بسمات عامة ولكن كان أكثرها وضوحاً أنه بدأ من الإنسان لا من

الطبيعة. فهو مختص بالذات أكثر منه بالموضوع^{٣٤}.

وتتلخص مبادئ الوجودية في النقاط التالية:

١- الانطلاق من الذات التي هي مركز المبادرة ومقر الوجدان والشعور.

٢- الإنسان موجود متكامل بعقله ومشاعره، وجسده وروحه.

٣- المعارف والخبرات نسبية دوماً، ولا توجد حدود حاسمة نهائية لها؛ بل تبقى فيها ثغرات، وليس هناك حقيقة مطلقة.

٤- تشترك الذات الفردية بالعالم الخارجي اشتباك تفاعل، وكل من هذين الطرفين شرط لوجود الطرف الآخر؛ وهذا هو الواقع.

٥- للواقع المعيش، أي الراهن (أهمية مركزية):

اليوميّ هو المهم ولا عبرة للماضي لأنه غير موجود، أما المستقبل فيجب أن نوجده، وشعار الوجودي: (أنا الآن وهنا)، والفرد متواصل مع العالم الخارجي من خلال وجوده وحواسّه ومشاعره وجسده.

- ٦- الحرية تتمثل بالوجود الإنسانيّ، ولا إنسانية من دونها، والحرية لدى الوجوديين تعمل ضمن المعايير الفردية لا ضمن المعايير الأخلاقية والسياسية والدينية السائدة.
- ٧- يتخذ الفرد قراره وموقفه، وهذا الموقف ذو قيمة مستقبلية؛ لأنه اتجاه في عملية تجديد المستقبل حين تتلاقى القنوات والمواقف في نقطة واحدة.
- ٨- ترفض الوجودية كلّ الأشكال الجاهزة والموروثة والسائدة لأنها قيود تحد الحرية الفردية، ولذا فهي ترفض الدين.

٩- هنالك وجوديات عديدة، بعدد منظريها، ولكنها جميعاً تتفق في التركيز على موضوعات أساسية مثل: الحرية، الموقف الإرادي، المسؤولية، الفرد، الإثم، والاغتراب، والضياع، والتمزّق، واليأس، والسأم، والاستلاب، والخيبة، والرفض، والقلق^{٣٥}، والموت^{٣٦}.

اسباب نشأة الفكر الوجودي

تجمعت مجموعة من الظروف و الأوضاع، ساعدت في ظهور الفكر الوجودي، فالنزعة الذاتية و ما مر به الانسان من احداث مروعة ومفجعة حلت به سيما الموت، ذلك الشي الذي عجز عن كنهه، فدخل الياس الى نفسه وشعر بالتوتر ونوع من الانهيار والضياع.

ولعل هذا السبب فيما يطلقونه عادة عن "الوجودية" من أنها فلسفة الحياة، وفي صميم اسمها يدل على انها تضع "مشكلة الوجود" قبل أي إشكال آخر، وتشير إلى قيمة الوجود قبل اي قيمة أخرى وتقتض امتياز الوجود على أية صفة أخرى مستوية إلى الأفراد، وعلى أية حقيقة خاصة بالآدميين، فكون الإنسان "موجوداً" أهم من كونه مفكراً وأهم من كونه حساساً، وأهم من كونه كذا وكذا من الصفات التي اعتاد المفكرون أن ينسبونها إليه^{٣٧}.

ان الوجود البشري هو وجود في العالم، فليس ثمة وجود بشري بلا بيئة. ومن هنا فلا بد له من الاعتراف بالجسد المكون للوجود البشري، لأن المرء لا يمكن أن يكون في العالم و يتفاعل مع البيئة إلا من خلال الجسد. والواقع أن الوجوديين لم يكونوا جميعاً واضحين حول الطابع الجسدي للوجود البشري^{٣٨}.

ارتبطت الافكار الوجودية بواقع الانسان البيئي فيصف ثوركليد جاكبسون اختلاف المزاج بين شعب مصر وشعب العراق على النحو التالي: "أن الشعور بعدم الأمان و بضعف الإنسان شعور يتغلغل في كل ظاهرة من ظواهر حضارة ما بين النهرين لم يكن له وجود في مصر"^{٣٩} . لهذا فقد يقال أن التساؤل الأساسي حول الذات البشرية قد كافح بالفعل لكي يعبر عن نفسه في الحقبة التي كان فيها الفكر البشري أسطوري الطابع وهذا واضح بصفة خاصة في الأساطير التي تحكي أصل الإنسان^{٤٠} .

ان الطبيعة في العراق لا تضبط نفسها، انها تتحكم بمشيئة الانسان، وتدفعه الى الشعور بتفاهته ازاءها، وذهنية الحضارة العراقية القديمة انعكاس لتلك الطبيعة، فليس هناك ما يدفع الانسان الى الاعتداد بنفسه امام قوى الطبيعة التي اوحت له مقدار ضعفه، فيفعم القلق والتوجس في نفسه ويشعره عزه بإمكانيات الوجود المأساوية^{٤١} .

يهيم جلجامش في البرية حزينا على وفاة أنكي دو، وفي رأسه تزحم أسئلة كثيرة عن الموت والمصير الذي سيلقيه مثلما حدث لأنكي دو. ويتحدث إلى نفسه عن خوفه من الموت^{٤٢} يقلق الإله كش من حالة جلجامش فيكلمه من السماء محذرا إياه من أنه سوف لن يحظى بالحياة الخالدة التي ينشدها. فيجيبه جلجامش معبرا عن عدم تقبله لحقيقة الموت وعدم تسليمه بوجوب الرحيل إلى عالم الأموات والبقاء فيه إلى الأبد محروما من نور الشمس^{٤٣} . لذا فللوجودية منبع اخر تمثل في ظهور فكرة جديدة عن حقوق الانسان والمطالبة بالعدالة في الحياة. فالموت شر بل العقاب الاكبر. لذا تسأل الانسان ما الداعي الى موت الانسان اذا لم يكن اقترف اثما؟^{٤٤}

الاستنتاجات

- ١ - الوجودية طريقة التفكير الاولى التي سلكها الانسان لفهم ذاته.
- ٢ - إن الوجودية فلسفة تتصدى لمعالجة مدلولات الحياة والموت و المعاناة والألم.
- ٣ - بين الفكر الوجودي في العراق حاجة الانسان الملحة الى الواقع العملي، بعيدا عن الفهم المثالي للوجود.
- ٤ - تتجلى اصالة الفكر الوجودي في العراق القديم من خلال ملحمة جلجامش التي نهجت البحث عن معنى الوجود الحقيقي للبشر.

- ٥- مثل الفكر الوجودي في العراق رفض الانساق الفكرية التقليدية والقديمة وحاول من خلالها اثبات حقيقة الوجود من خلال البحث والنقصي، مبتعدا عن ما افه الانسان من مفاهيم اصبحت تحكم الحياة، اذ كان ذلك الفكر قائما على التمرد والتحقيق من عبثية تلك الحياة.
- ٦- أهم خاصية تميز هذا النمط من الفكر أنه يبدأ من الإنسان وليس من الطبيعة. إنه فكر يؤسس لفهم للذات Subject، أكثر منه للموضوع Object.
- ٧- مثل اجتماع الظروف الموضوعية في العراق من البيئة والعقل اهم الاسباب التي ادت الى اسبقية ظهور الفكر الوجودي.
- ٨- ان الاحساس بالوجود يميز الانسان عن غيره من المخلوقات.
- ٩- يمكن القول ان خلق أنكيكو كان رسالة واضحة لإرجاع جلجامش الى الحيز الواقعي الذي يؤطر حياة البشر.
- ١٠- تباينت اسباب نشوء الفكر الوجودي بين البيئة والاحباط النفسي، فضلا عن احساس الإنسان بالاغتراب وما يصاحبه من يأس وقلق، جعلته يشعر بالحاجة إلى الوجود الواقعي.
- ١١- ان رمزية اختيار صاحبة الحانة لإسداء نصيحة تتعلق بمقتنيات الفكر الوجودي كان تعبير عن ان تلك المقتنيات بديهيات يمتلكها عامة الناس في العراق القديم، اذ لم يختار مؤسس الملحمة حكيمًا لإسداء تلك الفكرة.
- ١٢- ان الوجودية في العراق القديم قائمة على التمرد.

المصادر:

- ١- مذكور، ابراهيم، معجم الفلسفة، البيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٨٣.
- ٢- مأكوري، جون، الوجودية، ترجمة امام عبد الفتاح، سلسلة كتب عالم لمعرفة، الكويت ١٩٨٢.
- ٣- حيدرمان شهري، أحمد رضا، منير زيبائي، مفهوم الحرية بين النقد والدراسة قراءة تحليلية مقارنة في كتابات مطاع صفدي وسارتر أنموذجا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الثالثة - العدد الثاني عشر - شتاء ١٣٩٢ ش/ كانون الأول ٢٠١٣ م.
- ٤- محمود، علي حنفي، قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية للنشر طنطا، مصر، ١٩٩٦.
- ٥- العشماوي، محمد سعيد، تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار الثقافة لنشر و التوزيع، ١٩٨٤.
- ٦- بدوي، عبد الرحمن، الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- ٧- حنون، نائل، ملحمة جلجامش، ط١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٦،

- ٨- جوليفيه، ريجيس ، المذاهب الوجودية، ترجمة فؤاد كامل، ط١، دار الادب، بيروت، ١٩٨٨.
- ٩- الديدي، عبد الفتاح ، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥.
- ١٠- فرانكفورت، هنري، وآخرون، ما قبل الفلسفة، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.
- 11- Mircea Eliade, Aspects du mythe, Gallimard, Paris, 1963,
- 12- Ky ALLOW ADI W AMITILA, A PHILOSOPHICAL LABYRINTH: TRACING TWO CRITICAL MOTIFS IN KEZILAHABI'S PROSE WORKS, AAP 55 (1998).
- 13- Nicolas de Warren, He Who Saw the Deep The Epic of Gilgamesh in Patočka's Philosophy of History, (Husserl Archives – KU Leuven).
- 14- The Philosophy of Gilgamesh, American Nihilist Underground Society (ANUS), March 1, 2007.
- 15- Nick Bostrom, A History of Trans humanist Thought, Faculty of Philosophy, Oxford University, Journal of Evolution and Technology - Vol. 14 - April 2005.

الهوامش

- ^١ علي حنفي محمود، قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية للنشر طنطا، مصر، ١٩٩٦، ص٣.
- ^٢ محمد سعيد العشماوي، تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ١٩٨٤، ص ١١
- ^٣ المصدر نفسه، ص٧.
- ^٤ عبد الرحمن بدوي، الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص١٣٢-١٤٢.
- ^٥ جون ماكوري، الوجودية، ترجمة امام عبد الفتاح، سلسلة كتب عالم لمعرفة، الكويت، ص١٨
- ^٦ Robert C. Solomon, Existentialism (McGraw-Hill, 1974, pp. 1-2
- ^٧ جون ماكوري، الوجودية، ١٩٨٢، ص٣٩-٤٠.
- ^٨ Mircea Eliade, Aspects du mythe, Gallimard, Paris, 1963, p.9.
- ^٩ ماكوري، جون، الوجودية، ص ٤١-٤٢.
- ^{١٠} المصدر نفسه، ص٢٠٠.
- ^{١١} أحمد رضا حيدرمان شهري، منير زيباني، مفهوم الحرية بين النقد والدراسة قراءة تحليلية مقارنة في كتابات مطاع صفدي وسارتر أنموذجا، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الثالثة - العدد الثاني عشر - شتاء ١٣٩٢ ش/ كانون الأول ٢٠١٣ م، ص٨٧.
- ^{١٢} جون ماكوري، الوجودية، ص ٤٤.
- ^{١٣} المصدر نفسه، ص٤٢.

- ^{١٤} علي حنفي محمود، قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية للنشر طنطا، مصر، ١٩٩٦، ص ٥-٧.
^{١٥} جون ماكوري، الوجودية، ص ٤١.
^{١٦} المصدر نفسه، ص ٤٢-٤٣.

^{١٧} KY ALLOW ADI W AMITILA, A PHILOSOPHICAL LABYRINTH: TRACING TWO CRITICAL MOTIFS IN KEZILAHABI'S PROSE WORKS, AAP 55 (1998).p. 79.

- ^{١٨} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ط ١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٦، ص ٩٣.
^{١٩} وهي إلهة ذات دور ثانوي، تعيش على ساحل البحر المحيط الذي وصل إليه جلجامش
^{٢٠} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٥٤.
^{٢١} ابراهيم مذكور، معجم الفلسفة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ١٩٨٣، ص ٢١١.
^{٢٢} جون ماكوري، الوجودية، ص ١٩.

^{٢٣} Nicolas de Warren, He Who Saw the Deep The Epic of Gilgamesh in Patočka's Philosophy of History, (Husserl Archives – KU Leuven).p.1–19

^{٢٤} The Philosophy of Gilgamesh, American Nihilist Underground Society (ANUS), March 1, 2007.

^{٢٥} Ibid.

- ^{٢٦} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.
^{٢٧} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ص ٢٠٤-٢٠٥.
^{٢٨} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٥٦.
^{٢٩} Nick Bostrom, A History of Trans humanist Thought, Faculty of Philosophy, Oxford University, Journal of Evolution and Technology – Vol. 14 – April 2005,p.1.
^{٣٠} هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٢٥٠.
^{٣١} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٢٢٩.
^{٣٢} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٢٣٠.
^{٣٣} جون ماكوري، الوجودية، ص ٤٠.
^{٣٤} جون ماكوري، الوجودية، ص ١٨.
^{٣٥} للمزيد حول القلق الوجودي انظر: ريجيس جوليفيه، المذاهب الوجودية، ترجمة فؤاد كامل، ط ١، دار الادب، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٢.



العدد الثامن والثلاثون
الجزء الأول/ شباط / ٢٠٢٠

جامعة واسط
مجلة كلية التربية

- ^{٣٦} علي حنفي محمود، قراءة نقدية في وجودية سارتر، المكتبة القومية للنشر طنطا، مصر، ١٩٩٦، ص ١٤ - ١٦.
- ^{٣٧} عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٢١٣.
- ^{٣٨} جون ماكوري، الوجودية، ص ١٠٤.
- ^{٣٩} هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص ١٤٦-١٤٧.
- ^{٤٠} جون ماكوري، الوجودية، ص ٤١.
- ^{٤١} هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص ١٤٧-١٤٨.
- ^{٤٢} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٥٢.
- ^{٤٣} نائل حنون، ملحمة جلجامش، ص ٥٢.
- ^{٤٤} هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص ٢٤٦.